تعريف موجز

بقلم محمد هارون المجددى

أفغانستان : هى أكثر بقاع الشرق ارتفاعاً بعد تبت ، وهى بلاد متسعة من قارة آسيا ، بين خطى طول ٦٠° ، ٧٥° تحدها غرباً إيران ، وشمالا بخارى والصحراء التركمانية ، وجنوباً بلوخستان ، وشرقاً منطقة الحدود الشمالية الغربية فى باكستان . وجميع سكان هذه المنطقة الأخيرة أفغانيون دماً ولغة وتقاليد ، وقد كانت قبل ٦٠ عاماً جزءاً من أفغانستان ، ثم ضمت إلى الإمبراطورية الأنجليزية الهندية غصبا وعدواناً ، حين كانت أفغانستان ضعيفة وفى حالة عدم استقرار .

ومساحة أفغانستان سبعمائة ألف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها يربو على اثنى عشر مليونا من الناس ، وسطحها غير منتظم ، وهو مؤلف من هضاب مرتفعة ، وجبال عالية ، وأودية متسعة ، ومضايق جبلية ؛ ولذلك تشتمل أفغانستان على كل أنواع الأجواء ؛ ففى جبال (هندوكش) يتوج الثلج القمم الشامخة طوال العام ، فى حين ترتفع درجة الحرارة فى السهول إلى ما يقرب من ٤٠° والحرارة فى الجهات الشرقية أكثر ارتفاعاً منها فى الجهات الغربية ؛ والأرض حيث لا تكثر الصخور مخصبة جداً .

ومن أشهر جبالها السلسلة الأولى لجبال (هندوكش) المشهورة ، وهى تمتد من أعلى (باميير) إلى الشمال الغربى لأفغانستان . ومعظمها يبلغ فى الارتفاع ٦٦٠٠ متر . وبها كثير من الأنهار : كنهر (آمون) الفاصل بين أفغانستان وروسيا . وقد قسم الانتفاع بمياه هذا النهر بين الدولتين مناصفة . ويستمد مياهه من جبال (هندوكش) و (باميير) ، فيخترق فى سيره ولايات (خان آباد) و (مزار) الواقعتين فى التركستان الأفغانية ؛ ثم يتجه نحو الشمال حتى يصب فى نهر (أورال) الواقع فى جهات (خوارزم) .

ومن أنهار أفغانستان نهر (هرى رود) ويخترق مدينة (هرات) ونهر (هيلمند) ، ونهر (فرارود) ، ونهر (كابل) ، وهو يخترق العاصمة الأفغانية .

نظرة تاريخية :

أفغانستان كانت تسمى قديماً (آريانا) وعرفت عند اليونانيين باسم (باكسيميا) و (أراكواى) ، وعند الفرس باسم (باروتا) وعند الهنود باسم (باه لكا) ، وكان العرب يسمونها (خراسان) ؛ ولقد بقيت أفغانستان تحت حكم خلفاء بغداد إلى قيام الدولة الغزنوية التى أسسها السلطان « محمود الغزنوى » تلك الدولة العظيمة التى فتحت الهند ووطدت بين أرجائه دعائم الإسلام .

وفى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى حكمت أفغانستان دولة

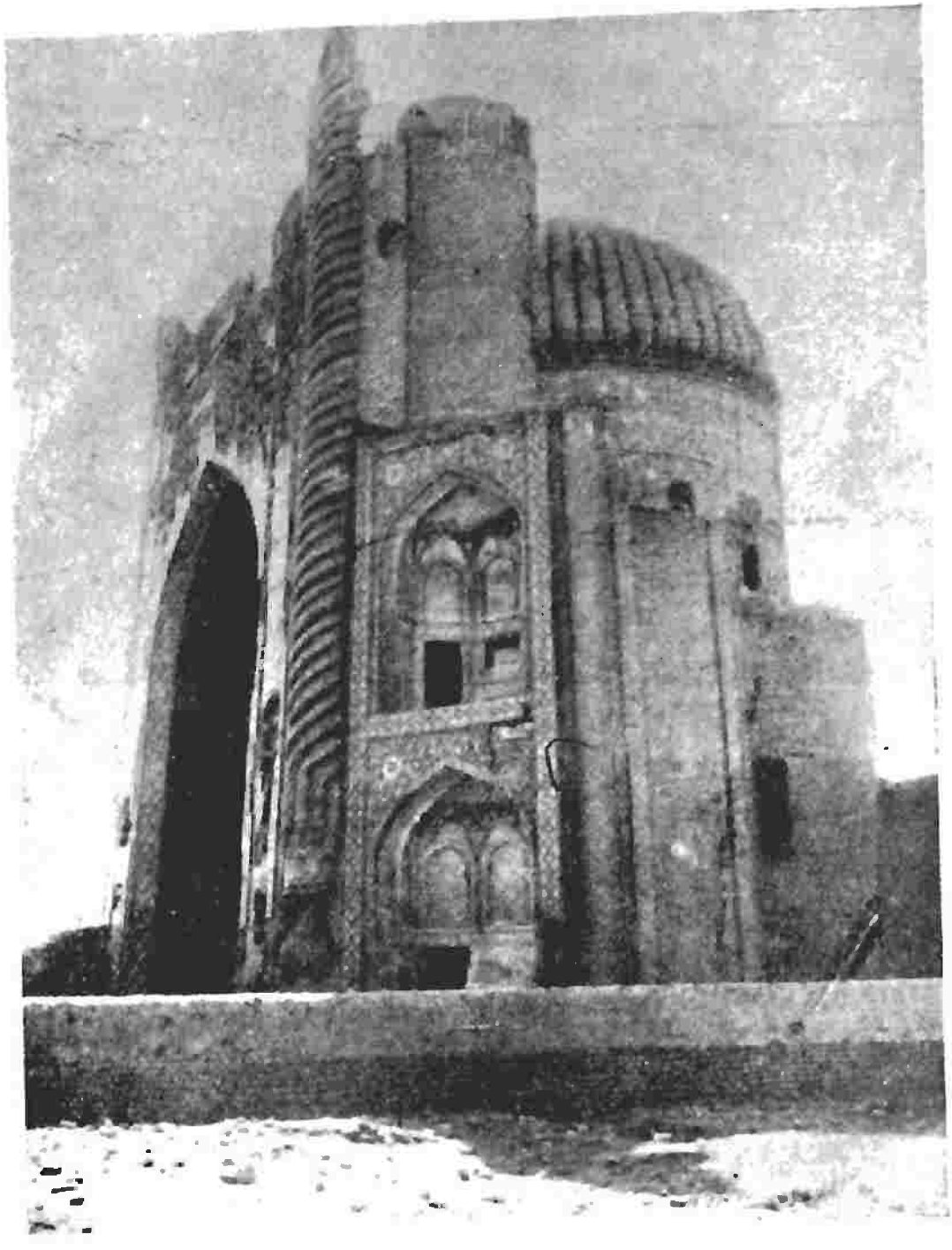

ضريح المرحوم خواجه محمد يارسا
من الآثار الهامة فى «بلخ»

تسمى الدولة الغورية . وظلت أفغانستان تحت حكمها إلى أن أغار عليها « جنكيزخان » عام ١٢٢٥ الميلادى ؛ فحكمها المغول إلى سنة ١٥٠٦ الميلادية .

وهكذا تعاقبت على أفغانستان دول شتى ، إلى أن قيض الله لها ابنا باراً يسمى « أحمد خان » فحرر البلاد وتربع على عرشها سنة ١٧٤٧ م فوصلت أفغانستان فى أيامه إلى أسمى درجات النجاح والعظمة ، وامتد ملكه من خراسان إلى دهلى ؛ وكانت وفاته عام ١٧٧٣م ثم خلفه أبناء لم يكونوا أهلا للحكم ، فاضطرمت الثورات الداخلية فى البلاد ، وظلت تتنازعها الفتن حتى تربع على عرشها الأمير « محمود » من نسل « احمد خان » المذكور . فاستطاع أن يطفىء نيران الثورات ، إلا أنه اضطر أن يتنحى عن الملك عام ١٨٣٣م لأسرة معروفة فى أفغانستان هى أسرة (محمدزائى) التى لم تزل تتولى الحكم فى البلاد إلى الآن ؛ ولكن الحروب الداخلية لم تسكن ، فانتهزت انجلترا هذه الفرصة واستولت على كثير من أراضيها فى فترات عدة ، وضمتها إلى إمبراطوريتها الهندية . وأخيراً جلس على عرش البلاد الأمير (عبد الرحمن خان) جد الملك (أمان الله خان) فوحد البلاد وأطفأ نيران الثورات ، وعقد معاهدة ودية مع انجلترا تعهدت فيها انجلترا بعدم التدخل فى شئون أفغانستان الداخلية وعدم الاعتداء على أراضيها.

ولما تربع على عرش أفغانستان الملك « أمان الله خان » طلب من

انجلترا تعديل تلك المعاهدة على أساس الاعتراف بسيادة أفغانستان الكاملة واستقلالها التام فى أمورها الداخلية وعلاقاتها الخارجية ؛ فلم ترض بذلك ؛ فأعلنت الحكومة الأفغانية الجهاد فى سبيل الوطن، وخرج كل أفغانى يحمل سلاحه للذود عن كيان بلاده ، واستطاعوا بفضل الله أن يصدوا قوات الأعداء فى الجبهتين الشرقية والجنوبية الشرقية، كما توغلوا فى الجبهة الجنوبية داخل الأراضى الأفغانية التى كانت قد ضمت إلى الإمبراطورية الإنجليزية الهندية من قبل غصباً وعدواناً ؛ وهكذا اضطرت إنجلترا للاعتراف لأفغانستان باستقلالها التام وسيادتها الكاملة .

بعض المدن التاريخية فى أفغانستان

١ — بلخ

لقد لعبت هذه المدينة فى الحركة العلمية الإسلامية دوراً هاماً منذ القدم ؛ ويتردد اسمها كثيراً فى كتب الفلسفة والتصوف ، لأن الأفكار الصوفية قد ترعرعت فيها ؛ وقد ظهر من الآثار المستكشفة فى هذه المدينة أنها كانت ذات أهمية كبيرة قبل الإسلام ، لاسيما فى عهد المملكة البوذية القديمة ، وربما كان ذلك سبباً لازدهار الأفكار الفلسفية والصوفية فيها .

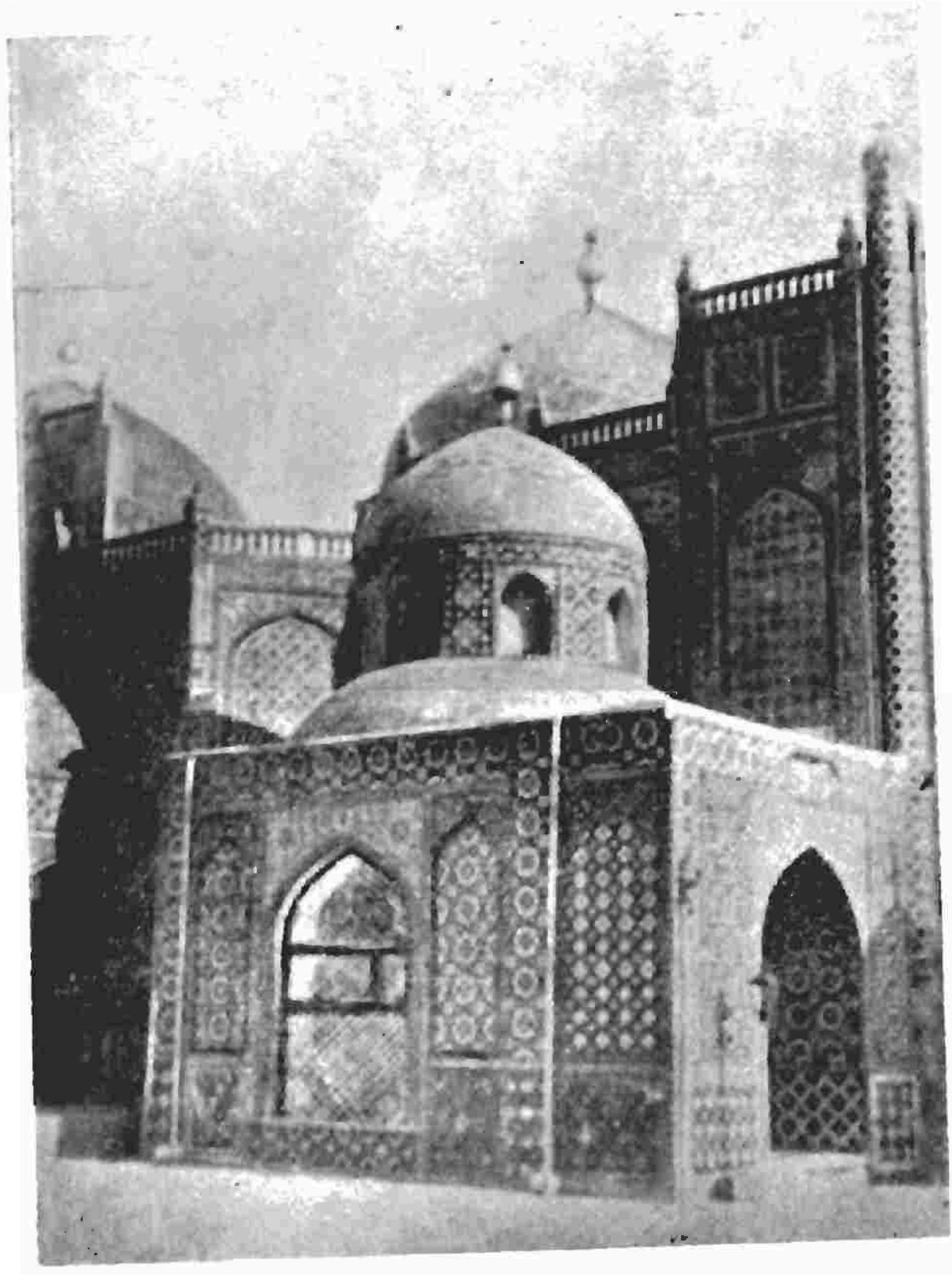

أثر تاريخى هام فى «مزار»

وقد كانت « بلخ » ذات مكتبات علمية عدة ، وكان يدرس فى مدارسها التاريخ والطب والكيمياء والرياضة والفلسفة ؛ كما أنجبت كثيراً من العلماء والفلاسفة ، نذكر منهم :

١ — الشيخ إبراهيم بن أدهم ، وقد كان من أمراء بلخ ومن كبار المتصوفة فيها ، ويمكن الرجوع إلى تاريخه فى طبقات الصوفية وغيرها من الكتب .

٢ — الرئيس ابن سينا الذى يعد أكبر فيلسوف إسلامى .

ب — غزنى :

وقد كانت مركزاً هاماً للعلوم والصناعات ، وانتقل إليها علماء الدولة السامانية ومفكروها بعد قيام الدولة الغزنويه ، لما اشتهرت به من حبها للعلماء وتشجيعها للمفكرين ورحابة صدرها لتقبل الآراء الحرة والأفكار المتباينة ؛ وقد كثر العلماء فى « غزنى » بعد فتح السلطان (يمين الدولة الغزنوى) لخوارزم .

يقول صاحب تاريخ العتبى : إنه كانت فى جامع « غزنى » مكتبات ودور للتأليف . ويذكر غيره من المؤرخين أنه كان يوجد فيها ما يربو على ألف وخمسمائة مدرسة ومكتبة أيام السلطان محمد الغزنوى . والفردوسى قد ألف كتابه المشهور « شاه نامه » بفضل تشجيع هذا السلطان له ومنحه أياه العطايا والهبات الكثيره ؛ وقد حذا ابنه حذوه فى تشجيعه للعلم والعلماء ؛ وتعتبر الدولة الغزنوية واضعة أسس الثقافة

الفارسية الحديثة والأدب الفارسى .

وهناك مدن أخرى لها مكانة تاريخية وتعد اليوم من أكبر المدن الأفغانية : مثل هرات ، وقد فتحت فى عهد عثمان رضى الله عنه ، وقندهار منبت الأسرة المالكة ، وجلال آباد . وقطغن ، ومزار .

* * *

لقد كانت أفغانستان درة التاج المغولى ؛ فبوساطة الأفغانيين فتح المغول البلاد الهندية للمرة الثانية ، بعد فتح السلطان محمود الغزنوى لها للمرة الأولى ؛ وبفضلهم كونوا إمبراطوريتهم العظيمة .

وقد ازدهرت معالم الحضارة فى أفغانستان زهاء سبعة قرون ، ساهمت خلالها فى تكوين الحضارة الإسلامية . وضربت بسهم وافر فى الإنتاج الفلسفى والعلمى ، وسجلت فى التاريخ الحربى معارك امتلأت بها أسفار التاريخ الإسلامى ؛ ثم طرأ عليها ما طرأ على البلاد الإسلامية من الجمود والخمول ، وقد أخذت الآن تستيقظ من سباتها وتستعيد ذكرياتها الزاهرة بإعجاب وفخر ، وتبنى حضارتها الجديدة على أسس تاريخها القديم وتقاليدها الإسلامية ؛ وهى جادة فى الاقتباس من مدنية الغرب والاستفادة من حضارته الجديدة ؛ فأنشأت المدارس المختلفة فى مستهل هذا القرن على الأسس الحديثة ، كما أنشأت المدارس المتوسطة والعالية وجامعة « كابل » ؛ ونشطت فيها الحركة الصناعية والتجارية ، ويعود الفضل الأكبر فى سير النهضة الأفغانية الحديثة على

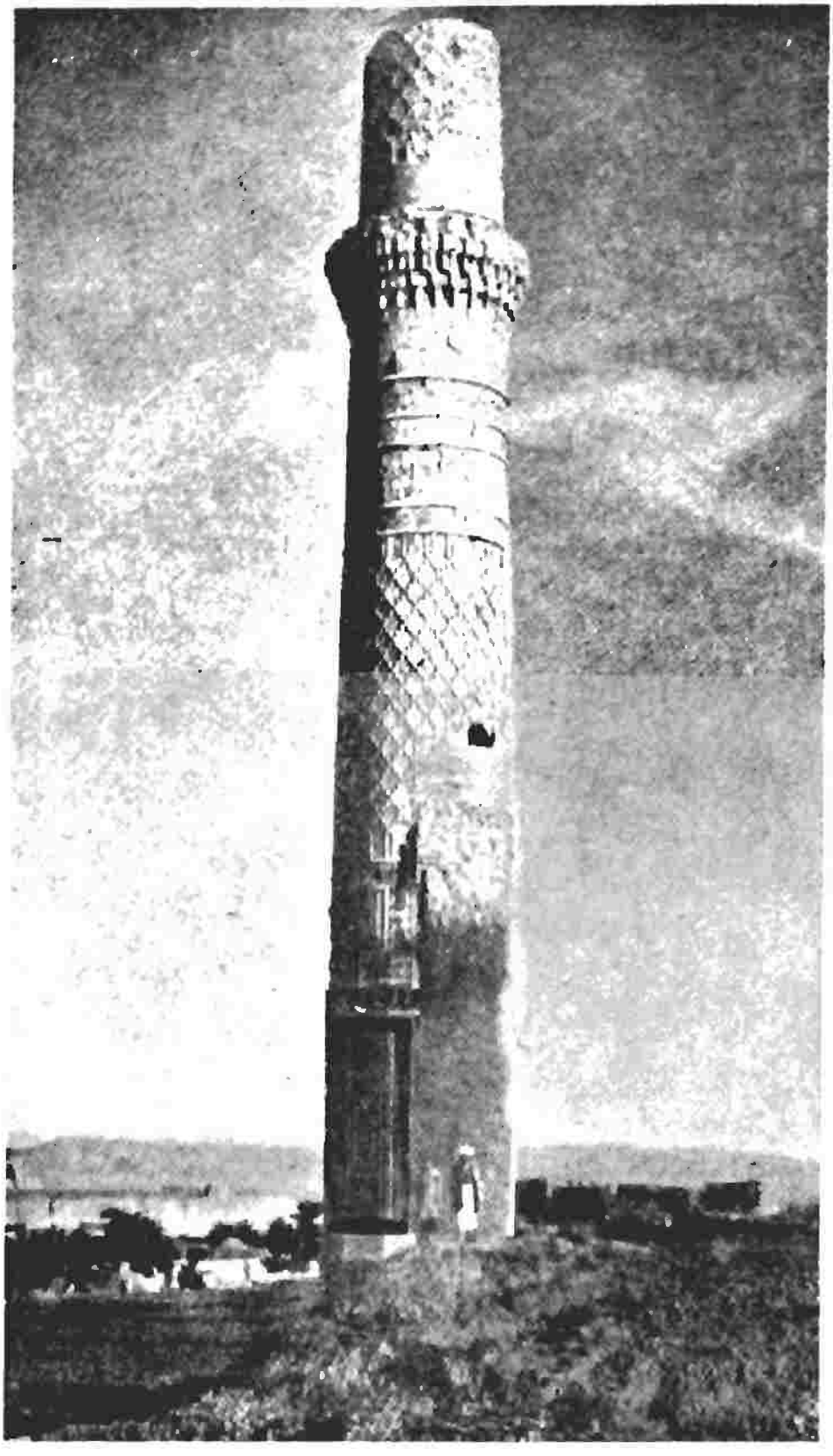

منارة (مصلى مرات) من آثارها التاريخية الهامة

أسس ثابتة . إلى حضرة صاحب الجلالة الملك « محمد ظاهر شاه » حفظه الله وسدد خطاه .

إن لأفغانستان مواقف مشهورة فى ميادين العلم ونشر الثقافة الإسلامية وتثبيت سلطان الإسلام ، منذ اعتنقوا هذا الدين الكريم الذى لاءم طبائعهم ووجدوا فيه مثلهم العليا التى تدعو إلى المساواة والعزة وتنفر من الخضوع والمذلة إذ كانت هذه الصفات هى ما أبرز ما يتحلى به الأفغانى ، ولذلك أخلصوا له إخلاصاً عميقاً قوياً ، واعتبروا أنفسهم حماته فى الشرق الأوسط .

القائد الأعلى للجيش الأفغاني

حضرة صاحب الجلالة الملك المتوكل على الله محمد ظاهر شاه يستعرض جيشه الباسل المخلص